كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

مرحلة الدكتوراه / لغة

معاني الابنية

الاختيار الصرفي وأنماطه واختيار الصفة المشبهة، وصيغة (فعيل) بمعنى مفعول واختيار الجمع

أ.د.خولة محمود فيصل

العام الدراسي 2025-2026

الاختيار الصرفي :

يقع الاختيار الصرفي بين البدائل والنظائر، ومن ثم يقع بين تلك البدائل أو الأشباه والنظائر المتعددة، والتي تشترك فيما بينها في التعبير عن معنى واحد بطريقة متقاربة، وذلك من خلال مستويين:

الأوّل: يمثّل الحدّ الأدنى لبلاغة الكلام، وهو ما وافق الصواب، واتسمَ بالصحة اللغوية.

والثاني: وهو ما اتّصف بالصحة اللغوية، وزاد على ذلك بحسن التخيّر للفظ توخياً للمطابقة.

والاختيار الصرفي في القرآن الكريم هو انتقاء دقيق لصيغ صرفية محددة (أسماء، أفعال، مشتقات) من بين بدائل لغوية عدة، لخدمة دلالات سياقية دقيقة، مثل التذكير والتأنيث، الإفراد والجمع، والعدول الصرفي للتعبير عن معانٍ خفية، ويركز هذا المظهر الإعجازي على إظهار سعة المعاني وضيق الألفاظ، وهو ما يبرز بدوره دقة اللغة القرآنية.

ومن أبرز صور الاختيار في الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم؛ العدول الصرفي؛ وهو تغيير صيغة الكلمة لغرض بلاغي محدد، مثل استعمال اسم الفاعل بدل اسم المفعول أو غيره، واختلاف الصيغ الصرفية بين القراءات المختلفة الذي يُثري المعنى ويوضح دلالات جديدة، بالإضافة إلى

توظيف صيغ مثل "فعول" أو "فعيل" أو جموع التكسير للدلالة على الكثرة أو النوعية المحددة في السياق، ولا ننسى اختيار صيغة المذكر أو المؤنث بناءً على المعنى المقصود وليس فقط للمطابقة النحوية.

أنماط الاختيار:

الاختيار الصرفي هو عملية انتقاء للصيغ والأوزان المناسبة من بين الصيغ المتوفرة في اللغة العربية لدراسة خصائصها الدلالية والتركيبية؛ و(أنماط الاختيار) تشير إلى هذه الصيغ أو (البنى الصرفية) مثل (فَعَلَ، فَعَّال، فَعُول) التي تحمل معاني محددة (مثل المبالغة، الطلب، الشدة)، حيث يختار الباحث نمطاً معيناً ليدرس كيف تتغير معاني الكلمة بتغير صيغتها، مما يساعد في فهم أعمق للنص وتراكيب اللغة.

وقد فرّق الباحثون بين أنماط عدة من الاختيار أهمّها:

1- التفرقة بين ما سمّوه بالاختيار النحويّ والاختيار النفعيّ، أو الأسلوبي وغير الأسلوبيّ.

2- التفرقة بين الاختيار الواعي، والاختيار اللاشعوري.

ويُراد بأنماط الاختيار الصرفي هنا اختيار الصفة المشبهة، والتي يُراد بها غالباً الدلالة على الوصف اللازم الثابت لصاحبه، بخلاف اسم الفاعل الذي يفيد الحدوث والتجدد، واختيار صيغة صرفية بعينها، والتنوع في استعمال الأوزان للجذر الواحد.

وقد استُعملت الصفة المشبهة في القرآن الكريم لأغراض عدة منها وصف الله تعالى أو الأوصاف الدائمة (مثل: كريم، رحيم، عزيز، حكيم)، وجاءت على أوزان متعددة

كـ (فَعِيل)، و(فَعِل) للدلالة على وصف دائم أو مستمر، فالمعنى الصرفي يخدم المعنى القرآني.

والأمثلة على ذلك كثيرة، والمهم في هذا المقام التأكيد على أمر غاية في الأهمية، ألا وهو أنّ غاية البلاغي من الاختيار الصرفي لا تقتصر على التحسين اللفظي فقط، بل يجب أن يركّز على تكثير الفائدة، وجمع دقائق المعاني المراد بيانها.

اختيار الصفة المشبهة:

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) حيث "آثرت الآية التعبير عن وصف هؤلاء المكذبين بالصفة المشبهة على غيرها من الصيغ كاسم الفاعل مثل (عامين)."

ويرى الزمخشري في "الكشاف" أن قوله تعالى "عمين" في الآية الكريمة هو جمع "عمٍ" على وزن "فعلٍ"، وهي صفة مشبهة تدل على الثبوت والاستمرار في العمى المعنوي (البصيرة)، ويشير إلى أن "عامين" جمع "عامٍ" بمعنى السنين، بينما "عمين" هنا تصف حالهم بكونهم لا يبصرون الحق، حيث يقول:

(عمين) عمى القلوب غير مستبصرين، وقرئ عامين، والفرق بين العمي والعامي، أن العمى يدل على ثابت والعامي على عمى حادث"، ويمكننا فهم سبب اختيار هذه الصيغة من سياق الآية الكريمة (لَقَد أَرسَلنَا نُوحًا إِلَىٰ قَومِهِ فَقَالَ يَٰقَومِ ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم* قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين).

وهذا ما وضّحه الطيبي وعلله بقوله: "لدلالة الصفة المشبهة على الثبوت، ولأن اسم الفاعل دونها في الدلالة على الثبوت."

فقد برّر الملأ من قوم نوح تكذيبهم لنبيّهم بادّعائهم ضلاله، فادعوا كذب دعوته مستعملين (إن واللام)، ثم حرف الجر (في) الدّال على انغماسه في الضّلال وإحاطته به، فضلاً عن ادّعاء كون ذلك الضّلال بيّناً واضحاً، وقد ناسب هذا السياق أن يُبالغ في وصف هؤلاء المكذبين بوصف مقابل لذلك بطريقة أبلغ مما يقتضي إثبات العمى لهم بصيغة دالة على الثبات واللزوم تناسب ما هم عليه من انطماس بصائرهم.

كما اختلف العلماء في أبنية الأسماء، وكان لذلك الاختلاف أثره في الدلالة، وذلك من حيث المصادر، والجموع، ومن حيث التأنيث والتذكير والتصغير والنسب، وجاء تركيزنا هنا على الصفة المشبّهة لكونها وصْفٌ يُصاغ للدلالة على اتصاف الذات بالحدث على وجه الثبوت والدوام، ويُشتّقُّ من الفعل الثلاثي اللازم.

وذهب الرضيّ إلى أنّ الصفة المشبّهة لا تُفيد الدلالة على الاستمرار، وإنّ ما ذهبوا إليه من استمرار الحدث لصاحبها في جميع الأزمنة يعود إلى عدم وجود قرينة تخصّصه لزمن دون آخر، ممّا يجعله صالحاً لكلّ الأزمنة، وكأنّه بثبوته يشمل جميع الأزمنة، فليس معنى (حسن) في الوضع إلا ذو حسن، سواء كان في بعض الأزمنة أو جميعها، ولا دليل في اللفظ على الاستمرار والحدوث.

اختيار صيغة فعيل بمعنى مفعول:

أبنية الصفة المشبهة كثيرة منها: فَعِل، وأفعل، وفَعْلان، وفَعيل، وفَعلى، وغير ذلك، وذكر العلماء أن فعيل إذا "كانت بمعنى (مفعول) يستوي فيها المذكر والمؤنث، بشرط العلم بالموصوف".

ولا تدخل التاء هذا الوصف، بشرط أن يُذكر الموصوف في الجملة، فإن لم يُذكر الموصوف وجب دخول التاء الفارقة على هذا الوصف.

وهذا ما يسوّغ اختيار صيغة فعيل بمعنى مفعول انطلاقاً من أن "دلالة الصفة المشبهة على الثبوت، لأن اسم الفاعل دونها في الدلالة على الثبوت".

أقرّ ذوو الصنعة دلالة (فعيل) على الوصف الثابت في باب الصفة المشبّهة باسم الفاعل، ومن المواضع التي اختيرت فيها صيغة (فعيل) على اسم المفعول قوله تعالى: (إنّ كلّ لمّا جميعٌ لدينا مُحضرون) فلفظ جميع هو فعيل بمعنى مفعول؛ فهو بمعنى مجموع.

رأى العلماء في باب التأنيث أنّ صيغة (فعيل) إذا كانت بمعنى (مفعول)، يستوي فيها المذكر والمؤنث بشرط العلم بالموصوف... وعلة استواء المذكر والمؤنث فيه أنه معدول عن مفعول؛ فكف خضيب، "كان ينبغي أن يُقال: كفّ مخضوبة... فصرف إلى فعيل، وطُرِحت الهاء منه، ليكون فرقاً بين ما هو مفعول.

حيث ذكر الرازي في قوله تعالى: (أم يقولون نحن جميع منتصر) فائدتان لاختيار صيغة فعيل بمعنى مفعول: إحداهما الكثرة، والأخرى الاتفاق، ورأى أنّه لا يقوم مقام هذه اللفظة غيرها من الألفاظ؛ وسوّغ ذلك بأنّ الجمع يدل على الجماعة بحروفه الأصلية (ج م ع)، وبوزنه (فعيل) بمعنى (مفعول).

وندعم فوائد اختيار هذه الصيغة في الآية السابقة بما أورده محمود ياقوت بأنّ صيغة (فعيل) لها ظلال وإيحاءات متعددة، فهي تأتي للمبالغة، وأن فعيلاً أبلغ، ودعم كلامه بشاهد آخر حيث يُقال لمن جُرح (مجروح)، ولا يُقال (جريح)، وعلى هذا (كحيل) أبلغ من (مكحول).

ومن أمثلة ذلك: (بل الإنسان على نفسه بصيرة) حيث ذكروا في الصيغة ثلاثة أقوال:

-أنّ البصيرة اسم مصدر، كما تقول للرجل: أنت حجة على نفسك.

-جاءت هذه الهاء في صفة الذكر كما جاءت في رواية وعلامة طاغية.

-البصيرة جوارحه تشهد عليه بما عمله.

حيث تتسلل معاني جديدة إلى الصفة المشبهة الدالة على الثبات واللزوم، "وإن كانت هي نفسها ليست صيغة مبالغة ولا صفة مشبهة، ولكنّها قد جاءت على وزن شبيه بأوزانهما، ومن ثم توحي صيغتها بمعاني تلك الصيغ أيضاً من المبالغة وثبات صفة الاجتماع لهم وغير ذلك."

كما أنّ هناك سبب آخر دعا إلى هذا الاختيار الصرفيّ ألا وهو أن اسم المفعول يوحي بمعنى الحدث أكثر من الصفة المشبهة الدالة على ثبت الحدث وتأصله، فالصفات: عظيم كريم شريف، لا تدل على الحدوث بقدر ما تدل على تأصّل الصفة في صاحبها. ولما كان المعنى المقصود في الآية هو صفة الجمع، من هنا تم اختيار صيغة (فعيل)التي توحي بثبات الصفة وتأصلها أكثر من إيحائها بمعنى الحدث.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53)﴾﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55)﴾

حيث قُرئ (حذرون وحاذرون) بالصفة المشبهة واسم الفاعل، والصفة المشبهة إذا كانت جارية على الفعل وهي اسم فاعل واسم مفعول أفادت حدوث الفعل، وإن لم تكن كذلك أفادت الثبوت.

ومن هنا جاءت قراءة الصفة المشبهة لتعبّر عن كون الحذر عادة لآل فرعون.

وقد كثُرت أمثلة (فعيل) الواقع عليه الفعل وقسّم الصرفيّون صيغ جمع التكسير إلى قسمين: (جمع قلّة وجمع كثرة) أو (الإفراد والجمع)، فجمع القلّة ما دلّ على ثلاثة إلى عشرة، والكثرة ما دلّ على ما فوق العشرة، وأوزان القلّة أربعة: (أفْعُل، وأفْعلة، وأفْعَال، وفِعْلة) ، أمّا جمع الكثرة، فما زاد على العشرة، وأوزانه كثيرة منها: (فُعْل، وفُعُل، وفُعَل، وفِعَل، وفُعَلة، وفِعَال) ، وغير ذلك.

وثمة مواضع يوظّف فيها جمع القلة لأغراض ومعانٍ لا يُعبّر عنها جمع الكثرة، ومن ذلك قوله تعالى: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37))

وقد جاءت الآية هنا على صيغة القلة (غرفات)، في حين اختيرت صيغة الكثرة (غرفاً) في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58))

وكذلك في قوله جلّ جلاله: (لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (20))

فقد أُريد بجمع القلة في الآية الأولى (الكثرة)، ويُمكن أن نجمع الآية الأولى مع الآيتين الأخيرتين اللتين جاء التعبير فيهما بصيغة الكثرة، ويرى بعض المفسرين أنه

لا فارق بين هذه الآيات، وبين ما جاء في قوله تعالى: (أولئك يُجزون الغرفة بما صبروا)، لأن الجميع في الدلالة على الكثرة سواء، وقد وُقف في التسوية بين معاني تلك الصيغ على عند المستوى الكلامي، حيث يصح التعبير بالمفرد لإرادة الجنس فيدل على الكثرة، وينوب جمع القلة عن المفرد كذلك في الدلال على الجنس.

وبالوقوف على الخصوصية الدلالية لكل صيغة من هذه الصيغ لا بد من مراجعة سياقها الذي وردت فيه، ففي الموضع الأول جاء سبب الجزاء مقتصراً على الإيمان والعمل الصالح مما يشعر أن أصحاب هذه المنزلة هم المقتصدون أصحاب منزلة الوسط في العمل فهم في المنزلة الثانية من منازل العابدين التي بيّنها الله تعالى في قوله: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا).

فقد جاء جزاؤهم محدوداً كما أن عملهم كان محدوداً، فهي منزلة من أدى الواجبات وترك المحرمات، فهؤلاء هم أصحاب اليمين، أما الموصوفون في الآيات الأخرى فهم السابقون، كما في قوله تعالى: (فإياي فاعبدون) الذي يُشعر بالهجرة، وقوله تعالى: (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) ، حيث وصفهم بصفة الصابرين.

وجاءت الغرفات موصوفة بصيغة الجمع الدال على عدد محدود، وهذا وعد الله للسابقين المهاجرين والمؤمنين الصابرين أن يوفيهم أجرهم بغير حساب، فالإعجاز القرآني يغبط المقتصد، ويبهج السابق.

وقد يتبادل جمع القلّة وجمع الكثرة فيأتي أحدهما موضع الآخر كما في قوله تعالى: (ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّة فاتّقوا الله لعلكم تشكرون).

فقد جاء اختيار صيغة جمع القلة (أذلة) على صيغة الكثرة (أذلاء) أو (ذلان)، وقد فسّر الزمخشري ذلك بأنّ الأذلة جمع قلة، والذلّان جمع الكثرة، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلّتهم كانوا قليلاً وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب، وما كان معهم إلا فرس واحد، وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة ومعهم مائة فرس".

وكذلك الأمر فسّر الألوسي اختيار (أذلة) جمع قلة لذليل، واختير على ذلك ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم، والمراد بها عدم العدة لا الذل المعروف، و(أنتم أذلة) في أعين غيركم وإن كنتم أعزة في أعين أنفسكم.

فصيغة القلة هنا مناسبة لقلة العدد؛ فعددهم وإن كان كثيراً في نفسه، فإنه قليل بالنسبة لعدد أعدائه وكذلك قلة العتاد والسلاح.

كما قد يأتي اختيار صيغة الجمع وإيثارها على المفرد لمعنى المبالغة أو التكثير كما في وصف حال المنافقين في قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ)

حيث يمثّل الله تعالى لتكاثر الشبهات على المنافقين بتخلّيهم عن الإيمان، وذلك من خلال تكثير الظلمات باعتبار محالها في القلب والبصر والحال، وقد يكون تكثير الظلمات هنا لتعظيم ما هم فيه من الكفر والضلال، فهي وإن كانت ظلمة واحدة لكن لشدتها استعير لها صيغة الجمع مبالغة.

وتكثير الظلمات هنا إما باعتبار قوتها وإما باعتبار كثرتها، وهذا بدوره أيضاً ما يفسّر جمع الظلمات دون الرعد والبرق في قوله تعالى: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ

ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ).

وكذلك الأمر في قوله تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) فقد اختار هنا صيغة الجمع في هذا المقام، بينما آثر صيغة المفرد في قوله تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي).

حيث آثر صيغة الجمع في مقام تسلية النبي صلى الله عليه وسلم، وتثبيته إزاء إيذاء المشركين له، وأيضاً آثر صيغة الجمع في خطابه تعالى لنوح عليه السلام أيضاً مقام التثبيت:

(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ)

حيث جاء اختيار صيغة الجمع هنا (بأعيننا) للتعظيم، ولتدل على شدة العناية وتكرارها.

وهكذا تعدّدت دلالات الألفاظ القرآنية وتنوّعت بتعدّد مستويات اللغة بين الأصوات والمعجم والصرف والنحو والبيان، ويركّز الاختيار الصرفي على عملية اختيار الباحث للأنماط الصرفية (مثل الأوزان) لدراسة كيف تتشكل الكلمات وتؤدي وظائف ودلالات مختلفة، مما يكشف عن جوانب غنية في بنية اللغة العربية ومعانيها.